أحدُكم إلى موضعِ أربعةِ أذرُع ، والأمرُ إلى الآخرة ، ومِلاكُ العمل خواتمُه ، وشرُّ الرُّؤيا رؤيا الكَذِب ، وكلُّ ما هو آتٍ قريب ، وسِبابُ المؤمنِ فُسوق ، وقِتالُ المؤمنِ كُفْر ، وأكلُ لَحْمِهِ من معصية الله ، وحُرْمَة ماله كحُرمَةِ دَمِه ، ومَنْ يتألَّى على الله يُكَذِّبُه ، ومَنْ يستغفرُه يَغفرُ له ، ومَنْ يعفُ يعفُ الله عنه ، ومَنْ يكْظِمْ يأجُرهُ الله ، ومَنْ يصبِرْ على الرَّزيَّة (المصيبة) يُعوِّضهُ الله ، ومَنْ يبتغِ السُّمعةَ يُسمِّعُ الله به ، ومَنْ يصبِرْ يُضعِّفُ الله له ، ومَنْ يعصِ الله يُعذِّبهُ الله ، اللهمَّ اغفِرْ لأُمَّتي ، اللهمَّ اغفِرْ لأُمَّتي ، اللهمَّ اغفِرْ لأُمَّتي ، أستغفِرُ الله لي ولكُمْ »[1] .

* * *

من أقوال رابعة العدوية :

ـ من مناجاتها :

يا ربُّ أتحرقُ بالنار قلباً يُحبُّكَ ، ولساناً يذكُركَ ، وعبداً يخشاكَ .

ـ وضعت يوماً النار في يد ، والماء في اليد الأخرى ، ثم أنشأت تقول :

سأشعل النار في الجنة ، وأسكب الماء على النار ، حتى ينجاب الغشاءان عن طريق السالكين إلى الله ، ويتبيَّن مقصودهم ، ويشاهدوا الله لا يحدوهم أمل ، ولا يُفزعهم خوف ، أفإن لم يكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد ، ولم يطعه أحد ؟!

ـ ثم يهتف قلبها المشتعل بالحبِّ والشَّوق :

---

(١) وكذلك ذكره ابن كثير في البداية والنهاية : ٥/ ١٣ـ١٤ .

إن كنتُ أعبدكَ خوفاً من نارِكَ فأحرقني بها ، وإن كنتُ أعبدكَ طمعاً في جنَّتكَ فاحرمنيها ، أمّا إذا كنتُ أعبدكَ من أجل محبَّتك ، فامنحني الجزاء الأكبر ، امنحني مشاهدة وجهك ذي الجلال والإكرام .

ـ لقد روى العطار : أن رابعة العدوية كانت تنوح باستمرار ، فسُئِلَت لماذا تنوحين وما ثمَّة ألم عساكِ تشكين منه ؟ فأجابت : واحسرتاه ، العِلَّةُ التي أشكوها ، ليست مما يستطيع الطبيب علاجه ، وما يُعينني على احتمال هذه العلَّة إلا رجائي أن أحقِّقَ غايتي هاتيك في العالم الآخر ، أن أرى وجهه الكريم .

ـ ويروي الكلاباذي أنه دخل جماعة على رابعة يعودونها من شكوى ، فقالوا : ما حالك ؟ قالت : والله ما أعرف لعلَّتي سبباً ، عُرِضَت عليَّ الجنة ، فملتُ بقلبي إليها ، فأحسبُ أن مولاي غار عليَّ فعاتبني فله العُتبى .

ـ وروى المناوي في كتابه الطبقات ، أن سفيان الثوري رضي الله عنه قال لرابعة رحمها الله تعالى : ما حقيقة إيمانك يا رابعة ؟

فقالت : ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا حُبّاً لجنَّته ، فأكون كالأجير السوء ، وإنما عبدته حباً وشوقاً إليه .

ـ كان مولدها في مطلع القرن الثاني الهجري ، وعاشت حياةً مليئة بالحب والوجد والعشق الإلهي ، وتوفيت عن عمر يُناهز الثمانين ، فرحمها الله رحمةً واسعة .

* * *